

المسلمون و العرب... أين المسلمون يحيون؟

المطران افرام عبودي

ما أستغربه كثيراً في جميع وسائل الإعلام العربية هو تكرارها ما اصبح اصطلاحاً عندها بقولها (العرب والمسلمين) ولا تذكر المسيحيين

وكما هو معلوم تاريخياً ان الأغلبية العظمى من مسيحيي الدول العربية ليسوا عرباً كالسريان الأرثوذكس والكاثوليك والموارنة والآشوريين والكلدان والأقباط وحتى معظم الملكيين من الأرثوذكس والكاثوليك.

فكل هؤلاء (عدا الأقباط) هم من السلالة الآرامية السريانية وكانوا السكان الأصليين لبلاد سوريا ولبنان وفلسطين وآسيا الصغرى وما بين النهرين العليا والسفلى اي العراق وكانت لغتهم الآرامية السريانية لغة سوريا القديمة التي تكلمها السيد المسيح - واليوم معظم أبناء كنيستنا السريانية من الشرق والغرب فإن لغتهم البيئية هي اللغة السريانية وكذلك الكلدان والآشوريون. كما ان الأقباط لهم لغتهم الطقسية الخاصة هي اللغة القبطية، وإن الموارنة هم سريان ولغتهم الأصلية هي السريانية التي يستعملونها دائماً في مراسيمهم وطقوسهم الكنسية، وأن معظم أبناء كنيستنا في تركيا في اسطنبول وأنقرة وفي جبل طور عبرين وقراء يتحدثون من بدورهم اللغة السريانية (اللهجة العامية) وكذلك معظم أبناء كنيستنا السريانية في العراق اي شماله وفي معظم المناطق السورية واللبنانية ومعظم السريان الذين هاجروا الى السويد وألمانيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا وأميركا والبعض في كندا. واشتهر السريان بمحبتهم للعلم، فكانوا يؤسسون الى كانب كل كنيسة مدرسة وحتى اليوم يعلمون في مدارسهم الخاصة اللغة السريانية.

ورغم ان السريان الذين كانوا قاطنين غرب نهر الفرات سموا سرياناً غربيين، والذين سكنوا شرق نهر الفرات في مناطق العراق سموا سرياناً شرقيين فكلهم مسيحيون. وفي النصف الأول من القرن السابع للميلاد خرجت موجة من التي قبلت الدين الإسلامي في الجزيرة العربية وحررت بلاد المشرق من حكم البيزنطيين والفرس. بالتعاون مع أتباع الكنيسة السريانية سكان البلاد الأصليين الذين كانوا موجودين في تلك المناطق منذ أجيال سحيقة.

وأن بعض المصادر التاريخية تؤكد لنا أنه بالتعاون مع العرب المسلمين تمكن السريان من المحافظة على عقيدتهم الدينية وكرسيهم الرسولي الإنطاكي وكنائسهم وأديرتهم وتراثهم وطقوسهم. وخلصهم من السلطة البيزنطية والفارسية التي كانت تضهد المسيحيين عامة الذين في مملكتها من سريان غربيين وشرقيين. ومنذ القرن الأول للميلاد دخلت النصرانية الى الجزيرة العربية حيث كانت آنذ احوال العرب الدينية مشوشة وانتشرت بقوة في عدد كبير من القبائل العربية عبر بادية الشام والعراق وهيأت لتقبل الإسلام بعدئذ قبائل ربيعة وبني تغلب وبني كلب، كما تنصر من اليمن طي وبهراء وسليخ وتتوخ وغسان وغيرها.

ومن الذين تنصروا في الجزيرة العربية في أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد هو قس بن ساعدة الأيادي أسقف نجران الذي عرف بـ<حكيم العرب> وخطيبها وشاعرها. وورقة بن نوفل بن أسد (توفي حوالي سنة ١١٦ م) أسقف مكة التي كانت مليئة بالنصارى وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوجة الرسول العربي الكريم. وكانت غالبية قريش من النصارى وغالبية مكة كانوا من السريان الأرثوذكس وكذلك غالبية نصارى اليمن ونجران.

تؤكد لنا المصادر التاريخية ان عدداً كبيراً من القبائل العربية في العراق وسوريا كانت مسيحية ورأت هذه القبائل وجوب تأييد العرب المسلمين الذين ولئن خالفوها بالدين ولكنهم يمتون اليها بصلة الدم واللغة والتراث والحضارة وخاصة قبائل بني تغلب وعقيل وتتوخ وربيعه من شمال العراق وغربه وحاربت هذه القبائل السريانية الأرثوذكسية جنباً الى جنب مع العرب المسلمين حتى تم القضاء على دولة الفرس عام ١٥٦م. حينما فرّ يزيدجرد آخر ملوكهم الى ما وراء حدود بلاده.

وسارت جيوش الفاتحين هذه الى سوريا البيزنطية فدخلت دمشق عام ٤٣٦ ثم دخلت بيت المقدس عام ٧٣٦، وأغارت على مصر سنة ٨٣٦ واستولت على الإسكندرية ورحب بها الأقباط كما فعل الشعب السرياني عند دخولها سوريا. وبهذه المناسبة يهمني ذكر بعض اللحظات التاريخية في التآلف بين المسيحيين والمسلمين حتى عندما نذكر العرب نذكر المسيحيين والمسلمين.

فمثلاً الخليفة عبدالملك بن مروان (٥٨٦ - ٥٠٧) ولّى أثناسيوس بروجوميا السرياني الرهاوي الإدارة المالية في القطر المصري. وكان عهده عهد بركة وإقبال في الدولة الأموية. وقبله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أول من دعي بأمر المؤمنين من الخلفاء. وسمي بالفاروق، لأنه فرق بين الحق والباطل في إنقاذ السريان من حكم البيزنطيين الظالمين. وكتب مروان الخليفة (٤٤٧ - ٥٥٧) فرماناً سنة ٦٤٧ للبطريك ايوانيس الرابع (٥٤٧ - ٥٥٧)، يخوله بموجبه الولاية على جميع الشؤون البيعية. ولا ننسى منذ عهد الأمويين الأخطل الشاعر المشهور وهو تغلبي من أبناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. وكان متمسكاً بديانته المسيحية. وكان يدخل على الخليفة عبد الملك بدون إذن وعليه جبة خزّ وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب. وفي عهد الخلفاء العباسيين قام من السريان المسيحيين علماء أفاضل و مترجمون بارعون وكان في مقدمتهم يوحنا بن ماسويه الذي ولاه الخليفة هارون الرشيد ترجمة الكتب القديمة. وأن البطريك ديونيسيوس التلمحري توفي عام ٥٤٨ انتدبه الخليفة المأمون العباسي (٣١٨ - ٣٣٨) فذهب الى مصر للتعاون مع الخليفة والبطريك الإسكندري يوساب. الشهير أمين الدولة «ابو كرم صاعد ابن توما البغدادي الذي قربه اليه الخليفة الناصر (٥٨١١ - ٥٢٢١) وأمنه على جميع اسرار دولته وأفراد عائلته.

وهناك مئات الشواهد التاريخية في هذا الموضوع تحتاج الى صفحات وصفحات حتى ندرجها جميعها عدا التي خسرتها مع مرور التاريخ.

واليوم حتى احتلال اسرائيل للأراضي الفلسطينية فكما يكرر الرئيس ياسر عرفات انهم يحتلون الأراضي المسيحية والإسلامية. وهذا ما دائماً نصرخ لأجله. وإن رؤساء الكنائس المسيحية عندما قاموا بمظاهراتهم الأخيرة ليؤكدوا حقوق الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين.

وأنا كخادم لكنيسة السريانية حيث خدمت في السويد وأستراليا وإنكلترا وفرنسا والهند وزرت معظم بلاد العالم فعندما تذكر أمام الأجنبي اسم العرب والمسلمين فهم يفهمون ان العرب مسلمون والمسلمين هم العرب. ولكن عندما تذكر مع العرب المسلمين والمسيحيين النصارى كما ذكرهم الرسول محمد فحينئذ يتفاعل مع ذكر المسيحيين او النصارى ايجابياً ويطالب بحقوقهم المادية والمعنوية والإنسانية.

فنطلب من وسائل اعلامنا العربية المختلفة ان تدرج اسم النصارى او المسيحيين مع المسلمين وخصوصاً ان مواقفهم في الشرق الأوسط وفي كل الدول العربية والخليجية هو موقف واحد .

جريدة المستقبل - كندا